فلسفة التفكيك: الأصول الفلسفية (البنيوية، الظاهراتية، وفكر ميشال فوكو)

The philosophy of deconstruction : Philosophical Origins: (Structuralism, phenomenology, and the thought of Michel Foucault)

دندوقه حنان / طالبة دكتوراه

أ.د . أحمد جابي الله

قسم اللغة والأدب العربي كلية اللغة والأدب العربي والفنون جامعة الحاج لخضر باتنة1

مخبر المتخيل الشفوي وحضارات المشافهة والكتابة والصورة. باتنة 1

Hanane.dendouga@univ-batna.dz

تاريخ الإيداع: 2019/09/13 تاريخ القبول: 2019/10/17

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى رصد أهم المرتكزات الفلسفية التي انبنى عليها الفكر التفكيكي انطلاقا من مأزق الفكر البنيوي، ظاهراتية هوسرل وهيدجر، وفكر فوكو الذي كسر شبح الوعي والعقل والمنطق، ما مهد لدريدا سبيل تأسيس فلسفته التفكيكية التي زعزعت كل القيم والمسلمات المترسخة في الفكر البشري.

الكلمات المفاتيح: اللوغومركزية؛ التناقض ذاتي المنشأ ؛ الظاهراتية ؛ علم الحفريات ؛ تعدد القراءات.

Abstract:

This study leads to observe the main philosophical principals which the deconstruction theory was based on and constructed due to the constructual thought, phenomemon of «Huserel, Heidegger and Foucault » who broke the fear from the conscience, the mind and the logic. This latter facilitated the path to « Derrida » to found his diconstruction /dicomposition philosophy which shoke and moved all the evidences and the values that was firmed in the human mind.

Key Terms :LOGO-CENTRALIZATION - Aporia - Phenomenology - Archeology - Multiple readings.

ظهرت التفكيكية (La Déconstruction) في خضم دورة الشك واليقين، هذه الثنائية التي تعتبر من إفرازات الثنائية المحورية في تاريخ الفلسفة، ثنائية الخارج والداخل، واستمرت التجريبية كمنهج لتحقيق المعرفة اليقينية إلى أن شككت الفلسفة الألمانية المثالية بقيادة "كانط" في قدرة الخارج وحده على تحقيق تلك المعرفة، لتوضع التجريبية العلمية موضع الشك، مقابل يقين حظي به العقل بمقولاته الميتافيزيقية، ثم مع ثورة علمية نقلت الثقل مرة أخرى إلى المنهج العلمي، ظهرت الفلسفة "البنيوية"، كمنهج فلسفي نقدي ملحد يقوم على أن كل ظاهرة أدبية أو إنسانية تشكل بنية لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى أجزائها المؤلفة منها، دون تدخل فكر المحلل أو عقيدته، وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية فقط"1.

وقد انبثقت وتبلورت "فلسفة التفكيك" على يدي الفيلسوف الفرنسي "جاك دريدا" بعد قراءته لفلسفات: أفلاطون، وهيغل، وروسو، ونيتشه، وهوسرل، وهايدجر، وغيرهم من كبار الفلاسفة، فتبنى المدرسة التفكيكية وعممها في الفكر الغربي، وانتشرت بشكل سريع في الفكر الفرنسي المعاصر، وأصل لها فارتبط اسمها به2، بعد أن تم إعلان "أزمة البنيوية"، التي لابد من الوقوف على بعض ملامحها، قبل استجلاء تأثير الفلاسفة واللغويين وبعض التيارات الفكرية والمذاهبية في فكر "دريدا" التفكيكي.

الفكر البنيوي والتفكيك:

لقد بدأ "دريدا" مشروعه التفكيكي بنقد الفكر والفلسفات الغربية، وعلى رأسها الفكر البنيوي السائد، حيث ذهب إلى أن فكرة البنيوية تفترض دائما مركزا من نوع ما للمعنى، هذا المركز يحكم البنية، ولكنه هو نفسه ليس موضوعا للتحليل البنيوي، وكان يرفض فكرة أن للفظ قدرة على إحالتنا إلى شيء ما خارجه، وكان يقول: إذا كان التفكيك مدمرا حقا فليدمر ما شاء من الأبنية القديمة المشوهة من أجل أن نعيد البناء الجديد3.

لقد انهارت البنيوية عام 1967م، حيث بدأت بعض الشخصيات المهمة تبتعد عن الإطار الفكري البنيوي وتغيرت نبرة الكتابة البنيوية الجديدة، والواقع أن تغيرا في أسلوب المعرفة حصل، لقد بدأت حركة ما بعد البنيوية4، التي ارتأت أن «اللغة نظام من التقابلات دون حدود ثابتة، وإنها إذا عوملت على غير هذا النحو لا تلبث الميتافيزيقا أن تنسل وتزحف»5.

لقد «كان العامل المنشط للفكر البنائي، في محاولاته الأولى على أقل تقدير يتمثل في رفضه الاعتراف بأي معنى يكون خارج أو وراء قيود اللغة سابقة الوجود»6، ما يخلق نوعا من التمركز

حول الذات، إنه النظام المغلق الذي يقيد القراءة والتأويل، فالبنيوية بمبادئها الوصفية وخصوصا مبدأ المحايثة، تقتل حركة الدوال؛ إنها تربطها بمدلولات محددة سلفا، الأمر الذي أدى إلى بروز مقولة "اللوغومركزية" (Logocentrism) التفكيكية التي تنقد هذا التمركز للمدلولات. ولذلك رأى "دريدا" أن البنيوية تقوم على "ميتافيزيقا الحضور" التي يجدها أينما اتجه، وبما أن البنيوية كمنهج نقدي تتكئ في مبادئها على معطيات الدرس اللساني، فقد ثار "دريدا" على المكنونات الميتافيزيقية في المركزية الصوتية المزعومة لدى "دي سوسير" وقد أدرج ذلك في كتابه "علم الكتابة"7، وإذا ما عدنا إلى «التفكيك في حد ذاته، فقد انبثق من البنيوية نفسها كنقد لها، وانصب على مشكلات المعنى وتناقضاته ليزعزع فكرة البنية الثابتة»8.

لقد أعاب "دريدا" على القراءة البنيوية تمركزها هذا، حيث يرى أن «البنائي ينشد في بحثه دائما شكلا أو وظيفة منظمة طبقا لشرعية داخلية يكون للعناصر فيها معنى من خلال ترابطها أو تعارضها»9، «واللغة لا تستطيع أن تفي بشرط معنى الحضور الذاتي إلا إذا كانت تشكل وصولا كاملا ومباشرا للأفكار التي صادفت سياقها، وهذا بحد ذاته مطلب من المطالب المستحيلة، لأننا وببساطة كاملة لا نستطيع الحصول على ما أسماه "دريدا" الإلهام الفطري الأولي للتجربة التي عاشها الآخر»10، وعليه، فإن القول بأن للغة معنى محدد يتوصل إليه من خلال شبكة العلاقات القائمة بين عناصر النظام قول باطل، لأن اللغة لا تكف عن الإيحاء، ما يجعل المعنى مسكونا بروح التعدد والانفتاح والتأجيل الخالدة.

من هذا المنطلق، اهتدى "دريدا" إلى أن المعرفة خرجت مع البنيوية «من سجن العقل إلى سجن اللغة»11، فبعد أن كان العقل الكانطي مسيطرا على الساحة المعرفية كسبيل وحيد لها، تغيرت الوجهة مع البنيوية نحو اللغة كوسيلة لبلوغ معاني النصوص.

لقد انحصرت البنيوية في ما أسماه "جاك دريدا" "التناقض الظاهري ذاتي المنشأ" (Aporia)؛ فهي «تعيش على الفرق بين ما تعد به وبين الممارسة الفعلية للبنائية، فمن ناحية التطبيق استسلمت البنائية بدرجة كبيرة لتلك الاستعارات المغرية المشتقة من علم اللغة البنائي التي ترفع "الشكل" إلى مستوى أعلى من "القوة" [...] ترفع البنية إلى مستوى تحديد كل ما يدور "داخل" البنية وما يدور "فيما وراءها" أيضا، أما "الوعد" (promise) فيعيش في تلك السلسلة الأخرى من الفكر البنائي ذاتي النقد الذي يتساءل ويتشكك ضمنيا في أساسه المنهجي الخاص»12، ومن خلال هذا التوتر بين الممارسة والوعد في مشروع البنيوية، تمكن "دريدا"

احتواء وتناول مسائل كثيرة تقوض وتضرب البنيوية في الصميم، فقد رأى التفكيكيون أن البنيوية «تؤكد ذاتها دوما في المواقع التي يستسلم الفكر فيها لمفاتن النظام والاستقرار، ومهما كان تأثير البنائية فإن منجزاتها تقتصر في الحقيقة على نوع من التفكير في المنجز وفي المكون، وفي المبنى، إن ما يحاول هذا النظام المستقر قمعه وكبته هو "القوة" أو ضغط القصد الباعث للحياة، الذي لا يفوق كل حدود البنية وإبعادها فحسب وإنما يزيد عليها»13، من هذا المنطلق أزاحت التفكيكية البنيوية عن الساحة لتأخذ شرف السيطرة والنفوذ، حيث انطلقت ثورة التأويل والسيميولوجيا.

ولا يمكن، إطلاقا، إغفال مدى تأثر الفكر التفكيكي بما جادت به عقول فلاسفة أمثال "نيتشه" و"هيدجر" في سعيهم إلى تحقيق فرضية إمكانية قيام الفكر الإنساني على أسس جديدة، وعلى خطاهم سار "دريدا"، حيث رفض معطيات ومسلمات الفكر الغربي في عبوديته لشبح ميتافيزيقا الحضور، التي يفرضها صنم اللوغوس، فكانوا يعتمدون على مبدأ الشك في مفاهيم ومسلمات ومبادئ كثيرة، سادت المجتمع الغربي، وهو ما تبدى بشكل جلي في كتابات التفكيكيين، «حيث ينطلق فيلسوف الاختلاف والغيرية في تأسيس التفكيك من فلسفة "نيتشه" في مواجهته لمفهوم "الحقيقة" في الميتافيزيقا" الغربية، ومن دراسات "هيدجر" التي تنزع إلى الشك في كل الخطابات الفلسفية من خلال فلسفته التأويلية التي حاول من خلالها فتح باب تعدد القراءات ولا نهائية التفسير»14، وغيرهما من الفلاسفة.

تأثير "هوسرل"(Edmund Husserl) و"هيدجر"(Martin Heidegger) في الفكر التفكيكي:

شكلت الفلسفة الظاهراتية (Phénoménologie) رافدا من روافد الفلسفة التفكيكية، ولعل أبرز من كان التأثر بهما: مؤسسها "هوسرل" و"هيدجر"، حيث قام الفكر الظاهراتي على أساس أن «المعرفة الحقيقية للعالم لا تتأتى بمحاولة تحليل الأشياء كما هي خارج الذات، وإنما بتحليل الذات نفسها وهي تقوم بالتعرف على العالم[...] ذلك أن الوعي لا يكون مستقلا وإنما هو دائما وعي بشيء ما، غير أن من الضروري تجريد الوعي[...] من أية تصورات ما قبلية سواء كانت فلسفية أم حسية»15، الأمر الذي مهد للاهتمام بقطب القارئ كفاعل في عملية القراءة المابعد بنيوية، بصفة العامة، وقد تأثر التفكيكيون بظواهرية "هوسرل" في القراءة وإنتاج المعنى، حيث أن القراءة التفكيكية تركز بدورها على التفاعل بين القارئ والنص، وهو ما لاحظته وأقرته، من قبل، الفلسفة الظواهرية التي ترى بأن القراءة تفاعل بين موضوع النص

والوعي الفردي16، حيث يبحث الظاهراتيون عن شكل من أشكال الصلة الحميمة بين الناقد والعمل المقروء، تنقطع فيه الذات والعالم معرفيا17.

غير أن "دريدا" يعتبر "هوسرل" وريثا من ورثة الميتافيزيقا الأوروبية المكرسة لفكرة اللوغوس، فكان تأثره به على النحو المعاكس؛ ذلك أن "دريدا" يبحث «عن طبيعة اللغة انطلاقا من منهجه في تقويض أسس الميتافيزيقا الغربية بتمركزها حول الكلام، أما "هوسرل" فقد تناولها عن طريق طبيعة اللغة انطلاقا من منهجه الظاهراتي الذي يقتضي التوجه نحو البناءات اللغوية بوصفها الصيغ العقلانية والظواهر المميزة للوجود الإنساني»18، وبذلك خالفه في رؤيته للطبيعة الفلسفية للغة ودورها، فقد فصل "هوسرل" بين دلالتين للعلامة اللغوية: دلالة التغيير ودلالة الإشارة، وعليه فالعلامة اللغوية تحمل رسالة معينة، وفي الوقت ذاته تشير إلى دلالات يتولى بلوغها القارئ حسب قدرته القرائية وثقافته، ومن ثم تنفتح العلامة اللغوية على دلالات وإيحاءات وتأويلات متعددة ولا نهائية، وقد عد "دريدا" هذا الفصل بين دلالتين للعلامة اللغوية «عملا تعسفيا ساخرا لما حققه من نتائج ودلالات أيديولوجية لاحقة، فهذا الفصل يقوم، كما يرى "دريدا" على ضرب من التمييز الأولي بين الافتراضات السيكولوجية المتمخضة عن محاكاة مناهج العلوم الطبيعية وبين ما يسعى "هوسرل" إلى تأسيسه في صورة وقائع لغوية دقيقة»19.

«وإذا كان "هوسرل" هو من فتح باب الفلسفة لدريدا، ومكنه من استغلال مفهوم التعليق في مشروعه النقدي، فإن "هيدجر" هو الذي أرشده إلى أهمية التفكيك، بوصفه مشروعا لابد منه لإجراء تقويض الصرح الفلسفي، الذي يشدد على الموجود (أنا أفكر أنا موجود) ، ويهمل الوجود ذاته، فهو يحمل ميتافيزيقيا متعالية، تتضمن عيوبا كثيرة لابد من تجاوزها، تشديدا على التنوع وحصولا للجدة والاختلاف»20.

لقد أخذ "دريدا" مصطلح "التدمير" من فلسفة "هيدجر"، وتبناه في بداية مشواره التفكيكي، حيث يذكر في إحدى المحاورات، أنه حين وضع مصطلح (Déconstruction) كان يفكر خصوصا في استخدام "هيدغر" لكلمة (التدمير: Déstruction) ؛ بمعنى تحليل بنية ما عن طريق نشرها وبسطها على طاولة التشريح، مثلما كان يفكر في كلمة (Abbau) الألمانية أي (Démontage) الفرنسية التي استعملها "فرويد" للدلالة على نوع من التركيب بالمقلوب21، وقد

شكلت أفكار "هيدجر" مرجعية صلبة للتفكيك، «فكلمة تفكيكية التي يستخدمها "دريدا" تستلهم مشروع "هيدجر" بخصوص تدمير تاريخ الأنطولوجيا»22.

يمكن القول أن منهج "هيدجر" و"الفلسفة التفكيكية" يشتركان في كثير من الأمور الواضحة، التي تهدف إلى تفكيك وتقويض المفاهيم المتضمنة في الفلسفة الغربية، وكان "هيدجر" قد «تحدث عن المعرفة واللغة، وثنائية الغياب والحضور، ولا نهائية المعاني والدلالات والثورة على القراءات المألوفة العادية، ونقد التمركز العقلي، وفلسفة الحضور، والتناص»23، وهي مصطلحات معتمدة في النقد التفكيكي، خاصة ثنائية الغياب والحضور، التي يتفق فيها "دريدا" مع "هيدجر"؛ حيث «لا يتحقق الوجود إلا بالغياب»24؛ «بمعنى أن اللغة وفي حالة معرفتها بهذا الوجود تصطدم بجدار التقاليد الذي رسخ عبر الزمن، حتى أنه غيب هذا الوجود، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى تدمير هذه التقاليد من أجل استحضار الوجود المختفي»25، وبهذا يمكن إرجاع فكر "دريدا" إلى أنطولوجيا هيدجر؛ حيث ينطلق "جاك دريدا" من (عدم- العقل)، من آخره ومن الوجه المقابل لحضوره، في حين انطلاقة "هيدجر" مؤسسة على (عدم- الوجود)26، فهيدجر يبحث عن العدم في مقابلة الوجود، و"دريدا" يبحث عن الاختلاف في مقابلة الهوية.

وتجدر الإشارة إلى أن "هيدجر" اعتمد في فهم "الهوية" على رؤية مفادها أن « لكل موجود جانبان: جانب مباشر حاضر ماثل أمامنا يسمى الظاهر، وجانب آخر غير مباشر، ليس حاضرا ولا ماثلا أمامنا، إنه ذلك الذي ليس هنا، والذي يشار إليه على أنه المصدر السلبي لما هو موجود أمامنا، هذا الجانب الآخر يسمى الماهية»27، هكذا فهم هايدجر الهوية بعد أن مهدت لفهمه هذا المثالية النظرية لليبنتز وكانط، وبعد أن أعدها وعمل على نشرها كل من شلنج فيخته وهيجل.

إن مشروع "هيدجر" الفلسفي يقوم على تفكيك مفهومي الوعي والوجود في الفكر الأوروبي، فقد سعى إلى إيجاد منهج يتخطى التصورات الغربية عن الوجود، وبحث جذورها، ليوجد هيرمينوطيقا تمكنه من الكشف عن الفروض المسبقة التي تتأسس عليها هذه التصورات، فوضع التراث الغربي موضع تساؤل، تماما كما فعل "نيتشه"، من قبله28، وعموما يمكن القول «إن كلا من "دريدا" و"هيدجر" إنما يتجهان صوب أهداف تفكيكية متشابهة تماما، ولكنهما يختلفان عند النقطة التي يبدأ "هيدجر" عندها وضع وتحديد مصدر الفكر الحقيقي وأرضيته، أو بمعنى آخر هما يختلفان في لحظة الوجود أو الاكتمال والوفرة التي تسبق الكلام المنطوق

الملفوظ، ويرى "دريدا" أن ذلك يمكن أن يمثل حالة كلاسيكية أخرى من الحالات الميتافيزيقية التي تعود إلى الوراء بحثا عن الحق والأصول»29.

لقد اشتغل "هيدجر" على الفلسفة الغربية، وعمل على مراجعة مفهوم "اللوغوس" (Logos)، هذه المفردة الفضفاضة التي توحي باللغة والعقل والوجود، وينتهي إلى أن المعرفة القديمة كانت فلسفة حقيقية، لا تفرق بين الوعي والوجود، وأن ما حدث هو طمس طرف والتركيز على طرف آخر، لتنبثق عن كل هذا مقولة "الدازاين" (Doesin) التي تحوي معنى الكينونة؛ أي أن الذات موجودة دائما ضمن وضعية وجودية تاريخية معينة، وهذه الذات في حال قذف متواصل للأمام وفي حالة مراجعة وإعادة بناء مستمرة30، وعليه فإن الفهم عملية تحدث في الزمن، وهو قابل للنقض باستمرار تبعا لعوامل متنوعة، ما يجعل المعرفة مرجأة دوما، وهو ما تبلور في الفكر التفكيكي من مفهوم "الإرجاء"، القائم على أن المعنى لا يعرف الثبات ولا الاستقرار، ما يبيح تعدد القراءات، هذا وقد «فصل "هيدجر" بين العلامة وما تدل عليه، ليفصل "دريدا" هو الآخر بين الدال والمدلول»31، ما أباح انفتاح الدلالة وتعددية المعنى وإرجائه، إضافة إلى أن النص التفكيكي المعاصر يعود إلى نصوص أخرى سابقة ويبدأ منها32، وكذلك هو عند "هيدجر" إذ ما هو عنده «إلا سجين يعتمد في ظهوره على لغات وشفرات ونصوص سابقة في وجودها على وجوده»33.

ورغم هذا الاعتماد الكبير على فلسفة "هيدجر"، وفضله في تحديد موضع الداء في الفلسفة الغربية، إلا أن "دريدا" لا ينفك يصفه بأسير الميتافيزيقا، حيث «يلمس عند "هيدجر" نوعا من النزوع الصوتي، يؤدي لديه إلى حضوة الصوت، كما هو الحال في فكر الغرب بأكمله»34، ويصرح "دريدا" قائلا: «بالرغم مما أدين به لهيدجر، إني أحاول وضع الأصبع في النص الهيدجري نفسه، الذي لا يختلف عن أي نص آخر من حيث لا تجانسه ولا استمراريته، ومن حيث أن نص في مستوى قوته الكبرى ونتائج أسئلته، على علامات الانتماء إلى الميتافيزيقا أو ما يسميه "هيدجر" الوجود/ اللاهوت (Onto- théologique)»35.

تأثير "ميشال فوكو" (Michel Foucault) في الفكر التفكيكي:

لقد كسر فكر "فوكو"، هو الآخر، شبح الوعي والفكر والعقل والمنطق، الذي سكن الاعتقاد الأوروبي فيما يتعلق بمصدر المعرفة، حيث جانب الأيديولوجيا إيمانا منه بأن الحقيقة معطى إنساني مسبق، بعيدا عن كل سلطة وهيمنة لأي مصدر متعال، ليصبح خطاب الحقيقة، وفقا

لهذا، في حد ذاته، وسيلة للسيطرة، إذ لا يكفي أن تقول الحقيقة بل يجب أن تكون في الحقيقة36، وبهذا فإن "فوكو" يبحث عن الحقيقة في الغياب، أي عما لا تبوح به الخطابات ولكنها تقصده، ولأن السلطة تمارس التهميش تناول "فوكو" «العقل من خلال الخطابات التي كانت خارجة عن نطاق التفكير من قبل، وبذلك ففوكو قدم مفهوما جديدا للعقل أقل تعاليا لكنه أكثر فعالية وأقوى مفهومية»37، حيث يبحث عن تلك الافتراضات والمفاهيم القابعة وراء النص، وقد صاغ "فوكو" مصطلح "إرادة الحقيقة" معتمدا على فكر "نيتشه" ومقولته "إرادة القوة" (إرادة السلطة)، فهو ينتمي إلى "مدرسة الشك" أيضا، و"إرادة الحقيقة"«بمثابة نسق للأبعاد، نسق تاريخي قابل للتعديل، ويمارس إكراها مؤسسيا نراه يرتسم أمامنا»38؛ أي «أننا لا نستطيع الحديث عن حقائق مطلقة أو معارف موضوعية، إذ يتعرف الناس على جزء معين من الفلسفة، أو نظرية علمية، كحقيقة حين يتطابق مع أوصاف الحقيقة التي تقدمها الجهات الثقافية أو السياسية السائدة في عصرها، أو أعضاء النخبة الحاكمة، أو العينات الأيديولوجية، الغالبة للمعرفة»39، حيث يرفض "فوكو" الأفكار والقوالب الجاهزة ويحطمها، إذ طال منهجه الحفري «كل التأويلات والمفاهيم الرئيسية التي بنيت عليها اليقينيات القديمة، وحاول تأسيس إمكانية قيام تأويل جديد، للكشف عن عالم مغلق من الإشعارات، وتفكيك الجهاز المفاهيمي المثالي الذي ينهض على العقل والحقيقة»40، إنه يرفض فكرة مسلمة الإنسان المنتج ويتجه صوب الإنتاج في حد ذاته، إلى اللغة، ومن ثم إعلان موت الإنسان.

لقد كان لمشروع "موت الإنسان" الفلسفي تأثير واضح في الميدان المعرفي، وهو مقولة يجمع عليها فلاسفة التفكيك، عامة، و"موت الإنسان"، أو إلغاؤه، عند "فوكو"، رهين ولادة لحظات معرفية، تسهم في احتلال موقع الإنسان، وتساعد على تقديم رؤية خصبة، وانقلاب ثقافي مخصوص، ولهذا مات الإنسان، ولكن "فوكو" يرفض التوقيع على شهادة وفاته، وعلى ذلك، تبنى "فوكو" هذه المقولة في سياق دعوته إلى تقويض وتجاوز الفكر والتراث الفلسفي الميتافيزيقي، وبعد أن ترسخت في فكره، حاول إيجاد البديل الذي سيستلم الشروط الممكنة لحمل اللحظات الإبداعية، فكانت ولادة علم الحفريات (Archeology) حيث تحيل قراءات الحفر إلى تمثل اللامقول في القول، والبحث عن هوامش أو سندات مجهولة في مسيرة المعرفة41، ما أباح تعدد القراءات واعتبار الغياب، وقد انعكست فكرة "موت الإنسان" على

النظر التفكيكي، حيث تم استبعاد "المؤلف" وإفساح المجال للغة التي اكتسحت المساحات كلها في النقد اللاإنساني المعاصر.

وإذا اعتبرنا "التفكيك" الدريدي ضربا من الفوضى، فلا فوضى من غير ضرب من النظام، ذلك أن عمليات التفكيك عن طريق السلب لابد وأن تقوم على أساس من الإيجاب، وقد مهد "دريدا" لهذه الفكرة من خلال نقده لمفهوم "الجنون" عند "فوكو"؛ إذ بينما يرى "فوكو" «في ظاهرة الجنون السلب الذي قامت على نفيه إيجابية العقل الغربي بحيث يترادف الجنون مع كل أشكال الآخر وتجلياته، يؤكد فيلسوف التفكيك أن "الجنون" لا وجود له إلا في إطار نظام العقل نفسه، طالما أنه ليس إلا حاصل عمليات النفي التي لا دلالة لها ولا معنى خارج علاقات التمايز والاختلاف التي تشكل لغة العقل أو "اللوغوس" نفسه، بعبارة أخرى إن كل ما يقع خارج القواعد المنظمة للغة العقل ليس كلاما بالمرة ولا إنجازا يعتد به طالما هو لا يخضع لشروط الخطاب الفلسفي بما يعتمد عليه من نظام مفاهيمي وإجرائيات لعمليات التفكير نفسه»42.

لقد برع "دريدا" في الاستفادة من كل هذه الروافد المعرفية الفلسفية ليؤسس فلسفته الخاصة التي أحدثت صخبا وضجة كبيرة في الساحة النقدية، حيث قلبت المفاهيم وغيرت الرؤى وهددت الصرح الذي لطالما مجدته الفلسفات الغربية، هذه الفلسفة التي فتحت الأبواب واسعة أمام القارئ ليجتاح الخطابات مهما كانت نوعيتها ومهما بلغت قداستها دون خوف لأنه يعلم من البداية أنه معرض لإساءة القراءة وأن له الحرية المطلقة في مقاربة المعنى المرجأ والمنفتح أبدا، ونقول أن "دريدا" برع في الاستفادة من الفلسفات الأخرى لأنه استطاع بطريقة ذكية الانطلاق منها ليقوضها وينفي مسلماتها، ومن ثم يتملص من التبعية لأي منها، لتبقى فلسفة التفكيك الأقوى والأخطر في ساحة النقد، فهي لا تدين في وجودها لأحد رغم استفادتها من الجميع.

هوامش الدراسة:

1 (ينظر) حسيبة مصطفى: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، د.ط، الأردن، 2012م، ص116، 117.

2 محمد عبد الرحيم طحان: المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني، دراسة تحليلية نقدية، مذكرة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د/ يوسف محمود الصديقي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، جانفي 2017م، ص70.

3 محمد عبد الرحيم طحان: المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني، دراسة تحليلية نقدية، مذكرة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د/ يوسف محمود الصديقي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، جانفي 2017م، ص71.

4 (ينظر) ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة ثائر ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، سوريا، 2008م، ص166.

5 المرجع نفسه، ص170.

6 كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، د.ط، 1410هـ/ 1989م، ص122.

7 (ينظر) ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة ثائر ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، سوريا، 2008م، ص171.

8 صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، دار أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2002م، ص106.

9 كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، د.ط، 1410هـ/ 1989م، ص119.

10 كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، د.ط، 1410هـ/ 1989م، ص119، 120.

11 عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1998م، ص282.

12 كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، د.ط، 1410هـ/ 1989م، ص125.

13 المرجع نفسه، ص119، 120.

14 عبد الغاني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر، 2005م، ص108.

15 ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص321.

16 (ينظر) نسيمة الغيث: البؤرة ودوائر الاتصال، دراسة في المفاهيم النقدية وتطبيقاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، مصر، 2000م،ص14.

17 (ينظر) ميجان الرويلي، وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2002م، ص323.

18 هنري رونس وآخرون: حوارات مع جاك دريدا، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1992م، ص33، 34.

19 محمد علي الكردي: الصوت والتفكيك عند جاك دريدا، مجلة علامات في النقد، جدة، جوان 2001م، ج40، مج10، ص108، 109.

20 سامر فاضل الأسدي: البنيوية وما بعدها النشأة والتقبل، الدار المنهجية للنشر، ط1، الأردن، 2015م، ص295، 296.

21 (ينظر) يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1436هـ/ 2015م، ص180.

22 بيير زيما: التفكيكية دراسة نقدية، ترجمة: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م، ص48.

23 بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن، 1431هـ/ 2010م، ص204، 205.

24 عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1998م، ص304.

25 بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن، 1431هـ/ 2010م، ص205.

26 (ينظر) عادل عبد الله: التفكيكية، إرادة الاختلاف وسلطة العقل، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2000م، ص14.

27 المرجع نفسه، ص68.

28 (ينظر) عادل مصطفى: فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار رؤية، ط1، القاهرة، مصر، 2007م، ص212، 213.

29 كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، د.ط، 1410هـ/ 1989م، ص153.

30 (ينظر) عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، لبنان، 2007م، ص107.

31 بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن، 1431هـ/ 2010م، ص205.

32 (ينظر) عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1998م، ص304.

33 بشير تاوريريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن، 1431هـ/ 2010م، ص205.

34 جاك دريدا: مواقع، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1992م، ص 16.

35 المرجع نفسه، ص15، 16.

36 (ينظر) رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعيد الغانمي، دار الفارابي، ط1، عمان، 1996م، ص148.

37 علي حرب: الفكر والحدث، دار الكنوز الأدبية، ط1، بيروت، لبنان، 1997م، ص207.

38 ميشال فوكو: نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت، ص07.

39 رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعيد الغانمي، دار الفارابي، ط1، عمان، 1996م، ص147، 148.

40 محمد سالم سعد الله: الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار، ط1، عمان، 2006م، ص 282.

41 (ينظر) المرجع نفسه، ص 268، 269.

42 محمد علي الكردي: جاك دريدا وفلسفة التفكيك، مجلة إبداع، 01 فيفري 2000م، العدد2، [20-35]، ص24.

المصادر والمراجع:

بشير (تاوريريت):

الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، دراسة في الأصول والمفاهيم، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن، 1431هـ/ 2010م.

بيير (زيما):

التفكيكية دراسة نقدية، ترجمة: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م.

جاك (ديريدا):

صيدلية أفلاطون، ترجمة كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، د.ط، تونس، 1998م.

مواقع، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1992م.

في علم الكتابة، ترجمة وتقديم أنور مغيث، منى طلبة، المركز القومي للترجمة، إشراف جابر عصفور، ط2، القاهرة، مصر، 2008م.

حسيبة (مصطفى):

المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، د.ط، الأردن، 2012م.

عبد الحميد (إبراهيم):

نقاد الحداثة وموت القارئ، مطبوعات نادي القسيم الأدبي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، دمشق، 1996م.

عبد الرحمن (بدوي):

خلاصة الفكر الغربي سلسلة الفلاسفة، نيتشه، وكالة المطبوعات، ط5، الكويت، 1975م.

رامان (سلدن):

النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: سعيد الغانمي، دار الفارابي، ط1، عمان، 1996م.

سامر (فاضل الأسدي):

البنيوية وما بعدها النشأة والتقبل، الدار المنهجية للنشر، ط1، الأردن، 2015م.

سعيد (الغانمي):

مقدمة العمى والبصيرة، مقالات في بلاغة النقد المعاصر، لبول دي مان، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات المجمع الثقافي، ط1، أبو ظبي، 1995م.

صالح (هويدي):

المناهج النقدية الحديثة أسئلة ومقاربات، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 1436هـ/ 2015م.

صلاح (فضل):

مناهج النقد المعاصر، دار أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2002م.

عادل (مصطفى):

فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار رؤية، ط1، القاهرة، مصر، 2007م.

عادل (عبد الله):

التفكيكية، إرادة الاختلاف وسلطة العقل، دار الحصاد للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2000م.

عبد العزيز (حمودة):

المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1998م.

علي (حرب):

الفكر والحدث، دار الكنوز الأدبية، ط1، بيروت، لبنان، 1997م.

عمر (مهيبل):

جاك دريدا: من أقاليم اللغة إلى أقانيم الهوية، مقدمة كتاب لجاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية، ترجمة وتقديم: عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1429هـ/ 2008م، [07-22].

عبد الغاني (بارة):

إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر، 2005م.

فريدريك (نيتشه):

أفول الأصنام، ترجمة: حسان بورقية ومحمد الناجي، دار أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 1996م.

كريستوفر (نوريس):

التفكيكية النظرية والممارسة، ترجمة صبري محمد حسن، دار المريخ للنشر، د.ط، 1410هـ/ 1989م.

عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، لبنان، 2007م.

كيرني (ريتشارد):

جدل العقل وحوارات آخر القرن، ترجمة: إلياس فركوح وحنان شرايخة، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.

ليونارد (جاكسون):

بؤس البنيوية، الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة ثائر ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، دمشق، سوريا، 2008م.

محمد (عبد الرحيم طحان):

المنهجية التفكيكية في تحليل الخطاب القرآني، دراسة تحليلية نقدية، مذكرة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د/ يوسف محمود الصديقي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، جانفي 2017م.

محمد (سالم سعد الله):

الأسس الفلسفية لنقد ما بعد البنيوية، دار الحوار، ط1، عمان، 2006م.

محمد (علي الكردي):

الصوت والتفكيك عند جاك دريدا، مجلة علامات في النقد، جدة، جوان 2001م، ج40، مج10.

جاك دريدا وفلسفة التفكيك، مجلة إبداع، 01 فيفري 2000م، العدد2، [20-35].

مروان (علي حسين أمين):

التفكيكية عند جاك دريدا، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الأشرف، مصر، د.ت، العدد 41، المجلد 02، [403-474].

ميجان (الرويلي)، وسعد (البازعي):

دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2002م.

ميشال (فوكو):

نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، دار التنوير، د.ط، بيروت، لبنان، د.ت.

نسيمة (الغيث):

البؤرة ودوائر الاتصال، دراسة في المفاهيم النقدية وتطبيقاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، القاهرة، مصر، 2000م.

هنري رونس وآخرون:

حوارات مع جاك دريدا، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1992م.

هيدغر وآخرون:

موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، ترجمة: عبد الرزاق الداوي، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان، 1992م.

وليد (قصاب):

مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، ط2، دمشق، 1430هـ/ 2009م.

عبد الوهاب (المسيري):
موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشرق، ط1، د.م، 1999م، ج5.
عبد الوهاب المسيري، وعزيز العظمة: العلمانية تحت المجهر، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2000م.
عبد الوهاب المسيري، وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2004م.
يوسف (وغليسي):
مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1436هـ/ 2015م.